مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

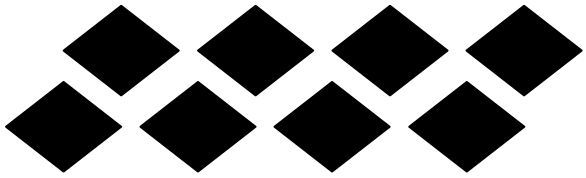

التشيعُ فِي شِعر أبِى فِرَاس الحَمدانِي

د.طه على خليفة
حاصل على الدكتوراه فى الأدب العربى
ويعمل بكلية التربية بالغردقة

المقدمة :

الحمدُ لله رب العالمين، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، وصلى اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي، الطاهر النقي، وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد،،،،

فقد كان للأحداث التى مرت بآل سيدنا على بن أبى طالب الدور الأكبر فى ظهور المذاهب والفرق الدينية المختلفة، كالشيعة والخوارج والمرجئة وغيرهم فى عالمنا الإسلامي، وقد بدأت هذه المذاهب نشأتها بأفكار سهلة ميسورة، بيد أن هذه الأفكار أخذت فى التشدد والتعقيد، فالشيعة مثلا – مذهب شاعرنا كما سنرى – كانت ترى ضرورة بقاء الخلافة فى نسل سيدنا على بن أبى طالب، ثم وصل الأمر بغلاتها إلى تأليه سيدنا على رضى الله عنه، فيروى عن بعضهم أنه قال : " حل فى على جزء إلهى...."(١)،- وقد حاول الشيعة بعد سيدنا على مرارا وتكرارا إيجاد متنفس للوصول إلى الحكم، فعرضهم ذلك لاضطهادات كثيرة من قبل الأمويين، ثم من قبل أبناء عمومتهم العباسيين، حتى كان ضعف الولايات العباسية فى نهاية دولتهم، فهيأ ذلك وسهل ظهور بعض الحركات الشيعية التى تمكنت من الحكم وإقامة دولة مستقلة، كما حدث فى دولة بنى بويه فى خراسان وما وراء النهر، والدولة الزيدية فى طبرستان، والدولة الفاطمية فى الغرب ثم انتقالها إلى مصر فى الشرق، نحن إذن فى عصر انتشر فيه التشيع، وهو العصر نفسه الذى نشأ فيه شاعرنا .

وشاعرنا هو أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان الحمداني التغلبي الوائلي،(٣٢٠ – ٣٥٧هـ)، هو شاعر من أسرة الحمدانيين، وهي أسرة عربية حكمت شمال سوريا والعراق وكانت عاصمتهم حلب في القرن العاشر الميلادي (٢).

وقد كان ظهور الحمدانيين في فترة ضعف فيها العنصرالعربي في أرجاء الخلافة العباسية، وقوى العنصر الفارسي والتركي، وكثر كثرة مطلقة، فباشر الحمدانيون الحروب لدعم حكمهم وترسيخ سلطتهم وسط هؤلاء، فاحتل عبد الله والد سيف الدولة الحمداني،

---

(١) أحمد أمين : فجر الإسلام، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٩٦، ص ٤٢٦ .

(٢) انظر ترجمته فى مصادر عديدة، منها على سبيل المثال : ابن خلكان : وفيات الأعيان، تحقيق : د. إحسان عباس، ط/ دار الثقافة – بيروت ١٩٧٧، ج٢، ص١١٤.

وعم شاعرنا، بلاد الموصل وبسط سلطة بني حمدان على شمال سوريا بما فيها عاصمة الشمال حلب وما حولها، ثم تملك سيف الدولة حمص ثم حلب حيث أنشأ بلاطا جمع فيه الكتاب والشعراء واللغويين في دولة عاصمتها حلب.

وقد ترعرع أبو فراس في كنف ابن عمه سيف الدولة في حلب، بعد موت والده باكرا، فشب فارسا شاعرا، وراح يدافع عن إمارة ابن عمه ضد هجمات الروم، ويحارب الدمستق قائدهم، وفي أوقات السلم كان يشارك في مجالس الأدب فيذاكر الشعراء وينافسهم، ثم ولاه سيف الدولة مقاطعة منبج فأحسن حكمها والذود عنها ([1]).

وأبو فراس من كبار شعراء عصره، وكان من الطبيعى أن تتناوله دراسات عديدة تتحدث عن حياته البطولية، أو عن شعره، وصوره الشعرية، وغير ذلك مما هو معروف، ولعل أشهرهذه الدراسات – حسب علمى – وعلى سبيل المثال لا الحصر :

١-الدكتور مصطفى الشكعة فى كتابه : " فنون الشعر فى مجتمع الحمدانيين "، طبعة /الأنجلو المصرية، ١٩٨٩، وعالم الكتب ١٩٨١م .

٢-الدكتور أحمد أحمد بدوى فى كتابه : " شاعر بنى حمدان " طبعة / لجنة البيان العربى،سنة ١٩٩٦.

٣-الدكتور درويش الجندى فى كتابه : " الشعر فى ظل سيف الدولة " طبعة / الأنجلو المصرية ١٩٥٩.

وقد عرض معظم هذه الدراسات لأبى فراس وشعره بشكل عام،ولم أعثر على دراسة متعمقة ومفصلة فى الموضوع الذى نحن بصدده، وإن كانت هناك إشارات ذكرها الأدباء والدارسون له تدل على تشيع شاعرنا، بيد أنها ليست متعمقة أو وافية، لكنها أضاءت الطريق لإتمام هذا البحث .

ومن ثم فقد ارتأيت أن أقدم هذا البحث محاولا إلقاء الضوء على هذا الجانب من شعر أبى فراس الحمدانى، ولا يعنى ذلك أنى وفيت الدراسة حقها، بل حسبى أننى حاولت، وعلى الله قصد السبيل .

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان،ج٢، ص١١٤.

وقد تضمن البحث عدة نقاط، هى كالتالى :

التوطئة :

أولا : مذهب أبى فراس الديني، وأثر ذلك على شعره.

ثانيا : هجاؤه العباسيين وثورته على أعداء العلويين .

ثالثا : بكاء الحسين، وفضائل على .

ثم الخاتمة متضمنة نتائج البحث، يلى ذلك المصادر والمراجع التى اعتمد عليها البحث، ثم الفهرس .

والله عز وجل ولى التوفيق

التوطئة:

عاش أبو فراس فى كنف الدولة الحمدانية التى وجدت فى عصر كثرت فيه الفرق والمذاهب الدينية فى الدول والإمارات عبر أرجاء الدولة العباسية الممتدة، كالدول التى ذكرناها سالفا، ولعل هذا يجعل الباحث فى تلك الفترة يطرح سؤالا مهما ينير طريق البحث وهو: إلى أى مذهب من هذه المذاهب تنتمي الدولة الحمدانية نفسها ؟، وما أثر ذلك على شعرائها، ومنهم المتنبي ؟، وهو كما نعلم انقطع سنوات عديدة يمدح ويسجل مآثر الحمدانيين، وهل التنافس بينه وبين أبى فراس كان تنافسا مذهبيا أم شعريا ؟ .

القارئ لتاريخ حلب يعلم أن مجتمعها كان أكثره على مذهب أبي حنيفة النعمان و بعضه الآخر كان شافعي المذهب، شأنها شأن معظم الدويلات الإسلامية فى تلك المنطقة، ولكن ما لبث الحمدانيون أن تملكوا حلب و كانوا شيعة، فحافظ المجتمع في أول الأمر على عقيدته السنية ثم غلب التشيع على حلب وغيرها، مع بقاء الكثير من السنيين.

وقد تحدث كثير من المؤرخين عن تشيع الدولة الحمدانية، وأن قادتها روافض، وكانت تعتنق مذهب الاثنى عشرية، وساقوا الأدلة على ذلك، ففى البداية والنهاية، يقول ابن كثير: " وقد امتلأت البلاد رفضا وسبا للصحابة من بنى بويه وبنى حمدان .....كذلك سيف الدولة بن حمدان بحلب فيه تشيع وميل إلى الروافض "(١)، ويروى ابن الأثير أن ناصر الدولة فى الموصل قد آوى رجلا اسمه أبو جعفر محمد بن الشلغمانى المعروف باسم ابن أبى القراقر، وهو صاحب مذهب غال فى التشيع والحلول الإلهى والتناسخ (٢)، فرجل مثل هذا لا يلجأ لأحد إلا إذا كان مؤيدا لمذهبه .

ومما يدل على اعتناق هذه الدولة المذهب الشيعي أن ناصر الدولة وسيف الدولة كانا يضربان الدنانير، ويكتبان عليها أسماء على وأبنائه الحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية وغيرهم من الأئمة، وفى عام ٣٥٤ هـ زوج سيف الدولة ابنيه " أبو المكارم وأبو المعالى " من بنتى ناصر الدولة، وبهذه المناسبة ضرب دنانير كتب عليها " لا إله إلا

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية، ط/ مكتبة المعارف – بيروت ١٩٩٦، ج١١، ٢٦٤.

(٢) ابن الأثير : المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر، تحقيق د: أحمد حوفى ود: بدوى طبانة، ط/ نهضة مصر،(د.ت)، ج ٨، ص ٢٩٠.

الله محمد رسول الله – أمير المؤمنين على بن أبى طالب – فاطمة الزهـراء – الحسـن الحسين جبريل عليهم السلام .(١)

وعلى الرغم من ذلك فقد عاش الناس حياة آمنة مطمئنة فـي ظـل دولـة سـيف الدولة، بالرغم من الاتجاه الشيعى للأسرة، وما كان يحمل في ثناياه مـن روح التعصـب الشديد، على كل من هو غير شيعي، فقد شملت سماحة الحمدانيين كل مـن أقـام بـين ظهرانيهم، فعاشوا في أعمالهم وبيوتاتهم آمنين مطمئنين، متمسكين بتقاليـدهم الدينيـة والثقافية .

ومن المألوف أن يدين كثير من الشعراء بمذهب أمرائهم، وهذا ما نجده عند كثيـر من شعراء الدولة الحمدانية، إذ كثرت القصائد والمقطوعات الدالة على ذلك فى شـعرهم، وقد تحدثوا فيها عن حبهم وتمجيدهم لآل البيـت، مضـمنين أشـعارهم بعـض الأفكـار الشيعية، كما هى عادة شعراء الشيعة على مر العصور .

ولعل من أوائل من يقابلنا فى هذه الفترة من شعراء الدولة الحمدانية المتشـيعين الشاعر كشاجم، الذى يرى أن حب آل البيت طهارة ونقاء وواجب، ولا يتشيع لآل علـى سوى العلماء العارفين ولا يترك التشيع إلا الأراذل والسفلة من الناس لعدم فهمهم لحقيقة الأمر، كما يستخدم كشاجم لفظ الوصى، وهو لفظ يطلقه الشيعة على سيدنا على " يريدون أن النبى أوصى لعلى بالخلافة من بعده،فكان وصى رسول الله، فعلى ليس الإمام بطريـق الانتخاب، بل بطريق النص من رسول الله، وعلى أوصى لمن بعده، وهكذا كل إمام وصى من قبله..."(٢)، وقد دلل الدكتور مصطفى الشكعة بهذه المقطوعة والتى تليها على تشيع كشاجم (٣)، والتى يقول فيها :

حبُّ الوصي مبرةٌ وصـلهْ وطهارةٌ بالأصل مكتفلـــــــــهْ

والناسُ عالمهم يدين بـــهِ حبًّا ويجهل حقَّه الجهلـــــــــهْ

---

(١) السابق، ص ٢٩١ .

(٢) فجر الإسلام، ص ٤٢٣ .

(٣) د. مصطفى الشكعة : فنون الشعر فى مجتمع الحمدانيين، ط/ الأنجلو المصـرية، سـنة ١٩٨٩ص ٢٨٩ .

ويرى التَّشيع فى سراتهــمِ والنصب فى الأراذلِ والسفلـــهْ (١)

وكشاجم كغيره من الشعراء المتشيعين لاينفك يبكى على ما حدث لآل البيــت مــن مذابح ومحن وآلآم تستوجب زهق النفس من الحسرة والبكاء والندب، لا سيما ما حــدث لبنى على ابن أبى طالب رضى الله عنهم، فالحسن مات مسموما،والحسين مات مــذبوحا فى كربلاء، كما نلحظ كثرة البكاء والعويل فى الأبيات، وهى سمة من أهم سمات الشــعر الشيعى، والشيعة أنفسهم، يقول كشاجم :

بُكاءٌ وقلَّ غناء البكـــــــاءِ على رزء ذريَّة الأنبيـــــــاءِ

لئن ذلَّ فيه عزيزُ الدمـــــوعِ لقد عزَّ فيه ذليلُ العـــــــزاءِ

أعاذلتى إن بُردَ التُّقـــــــى كسانيه حبى لأهل الكســـــاءِ

سفينةُ نوحٍ فمن يعتلـــــق بحبهم يعتلق بالنَّجـــــــاءِ

لعمرى لقد ضلَّ رأى الهـــوى بأفئدة من هواها هوائـــــى

وأوصى النبىُ ولكن غـــــدتْ وصاياه منبذة بالعـــــراءِ(٢)

وقد كانت مصيبة الحسين مصيبة لشعراء الشيعة أنفسهم، فهــم دائمــو الحــديث عنها، وصفا وبكاء وحسرة،وقد عبرالسرى الرفاء عن كل هذه المعانى، وهو من شعراء الحمدانيين، ومن كبار أصحاب مجالسهم الأدبية، يقول :

أقامَ روحٌ وريحانٌ عــلى جَدَثٍ ثوى الحسين به ظمآن آمينـــا

كأنَّ أحْشاءَنا من ذكـــرهِ أبدا تطوى على الجمر أو تحشى السكاكينا

ولا شك أن حب آل البيت من حب الله ورضاهم من رضاه سبحانه، وذكرهم فى الشعر إنما يزيده حلاوة وطلاوة ويلقى استحسانا، وفى ذلك يقول السري الرفاء :

آَل النَّبي وجدنا حبكمْ سببـــــا يَرضى الإلهُ به عنَّا ويرضينـَا

(١) ديوان كشاجم، ط/ القاهرة ١٤٢٢ هـ، ص ١٤٩.

(٢) ديوان كشاجم، ص ٢٦.

إنْ أَجْرِ فى حبكم جَرْىَ الجوادِ فقد أضحتْ رحابُ مساعيكمْ ميادينَا

وكيف يعدوكم شعرى وذكـــركمُ يَزيدُ مستحسن الأشعارِ تحسينَا(١)

وقد أورد الثعالبي فى يتيمته قصيدة لأبى بكر الخالدى يبكى فيها أيضا على مصاب الحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويفرط فى لعن يزيـد وأبيـه معاويـة الخليفة رضي الله عنه، بل ولعن كل من لم ينصر حسينا، أو تخلى عنه، يقول :

إذا تفكرت فى مصابهـــــم أتعب زند الهموم قادحـــــهْ

بعضُهم قربت مصارعـــــه وبعضهم بعدت مطارحـــــهْ

أظلم فى كربلاء يومهـــــم ثم تجلى وهم ذبائحـــــهْ

على ثرى حله ابن بنت رســو ل الله مجروحة جوارحـــــهْ

عفرتم بالثرى جبين فتـــــى جبريلُ بعد النبى ماسحـــــهْ

يطل ما بينكم دم ابن رســـو ل الله وابن السفاح سافحـــــهْ

سيان عند الأنام كلهـــــم خاذله منكم وذابحـــــهْ (٢)

أما فيما يتعلق بأبى الطيب المتنبي، وقد شب والتحق ببلاط الحمدانيين الذى يضـم كبار شعراء الشيعة وأدبائها نحو :" الصـنوبري والنـامي والسـري الرفـاء والـوأواء الدمشقي وكشاجم وأبو على الفارسي وابن خالويه ..." وقد خالطهم وتعامل معهم، ولكـن تأثير المذهب وتأثير مخالطة هؤلاء الأدباء لم يكن ملحوظا، إذ خلا ديوانـه مـن الشـعر الشيعى الذى يتضمن مآثر آل البيت وأفضليتهم ونكباتهم وظلمهم والدفاع عـنهم، وغيـر ذلك مما يطرقه شعراء الشيعة من معان، وعلى الرغم من ذلك فبعض الباحثين (٣) يرى

(١) السري الرفاء : الديوان، تحقيق : حبيب حسين الحسنى، ط/ دار الرشيد – العراق، سـنة ١٩٨١، ص ٢٧٩.

(٢) الثعالبى : يتيمة الدهر،ط٢/ مطبعة السعادة – القاهرة ١٩٥٦، ج٢، ص١٨٨.

(٣) مثل الباحثة : هدى الأرناؤوطى : ثقافة المتنبى وأثرها فى شعره، ط / لبنان – بيروت، سنة ٢٠٠٢، ص ٢٣:٢٥.

فى شعره بعض اللمحات والبصمات اللامعة، التى تدل على تشيعه وميله لآل البيت، وأنه قد تأثر بهذه البيئة الشيعية، خاصة وأنه التحق فى صباه بمدارس الشيعة العلويين، وتخصيص الشيعة لمثل هذه المدارس التى التحق بها المتنبي يبدو أمرا مقبولا،نتيجة لشيوع هذا المذهب فى الأرجاء آنذاك، حيث نشأ فى الكوفة التى كانت وعلى مدى قرون طويلة مهدا للتشيع ومعقلا لشيعة سيدنا علي بن أبى طالب وأولاده رضى الله عنهم، وتستشهد الباحثة ببعض المقطوعات التى جاءت على لسان المتنبى، والتى قد نجد فيها تفسيرا لقلة شعره الشيعى أيضا، كاستشهادها بقوله :

وتركتُ مدحي للوصي تعمّدا إذ كان نورًا مستطيلا شامِلا

وإذا استقلّ الشيءُ قامَ بنفسه وصفاءُ ضوء الشمس يذهب باطِلا([1])

وهى ترى روح التشيع واضحة جدا فى هذين البيتين، فلقب الوصي لقب لقبه الشيعة لسيدنا الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم إن البيتين فيهما دلالة على عظم قدر الممدوح، وأنه مما يعجز عن إيفاء حقه أعظم الشعراء، وهذه المبالغات مما اعتاد عليه شعراء الشيعة، وبهذين البيتين يجيب المتنبي عن السبب الذى دفعه للإقلال من الشعر الشيعي، وتجد الباحثة أيضا بين ثنايا قصائده هذا الحس الشيعي الذي يفيض في صدر الشاعر بمدح أهل البيت عليهم السلام، وذكر فضلهم كما ورد في مدحه لطاهر بن الحسين العلوي بقوله:

الطيب مما غنيت عنه كفى بقرب الأمير طيبَا

يبني به ربنا المعالي كما بكم يغفر الذنوبَا([2])

وترى في الشطر الأخير إشارة من المتنبي إلى مبدأ الشفاعة الذي اختص بها النبي صلى الله عليه وسلم، وأهل بيته الأطهار عليهم السلام وهي من مبادئ الشيعة ، كما يرى الدكتور طه حسين أيضا أن نشأة المتنبي فى الكوفة وجهته وجهة شيعية،وتركت أثرا فى شعره، إذ يقول : " فاختلاف المتنبى إلى هذه المدارس العلوية لا

(١) المتنبي : الديوان بشرح أبى البقاء العكبرى، ضبط وتصحيح : إبراهيم الإبيارى وآخرون، ط / القاهرة، سنة ١٩٧١م، ج ٣، ص ١١٢.

(٢) السابق، ج١، ص ٢٢٦.

يدل عندى على امتياز ولا استثناء إنما يدل على الاتجاه الدينى الذى وجه إليه الصبى، ويدل على أن الذين كانوا يكفلون هذا الصبى ويقومون على تربيته وتنشئته كانوا من الشيعة العلويين "(١)، ويقول عن شعر المتنبى فى هذه الفترة :" شعرصبى متشيع للعلويين، متأثر بآراء الشيعة، وبآراء الغلاة منهم خاصة "(٢)، وقد أورد طه حسين بعض الأبيات للمتنبى، والتى يقول فيها :

يأيها الملكُ المصفى جوهرًا ... من ذات ذى الملكوتِ أسمى من سمَا

نورٌ تظاهر فيك لاهوتيَّه ... فتكاد تعلم علم ما لن يعلمَا

ويهم فيك إذا نطقتَ فصاحة ... من كل عضوٍ منك أن يتكلمَا

أنا مبصرٌ وأظنُّ أنى نائمٌ ... من كان يحلم بالإله فأحلُمَا

كبر العيان على حتى إنه ... صار اليقينُ من العيان توهمَا

ويعلق على تلك الأبيات قائلا :" فنحن هنا بإزاء رأى صريح فى الحلول، فالمتنبي يرى صاحبه ملك قد صفى جوهره من ذات ذى الملكوت أى إن روحه قبس من ذات الله، وهو يرى أن هذا القبس نور لاهوتى قد استقر فى صاحبه فكاد يظهره على الغيب.....ومهما يكن من شئ، وسواء واتتنا النصوص التى بقيت لنا أم لم تواتنا فإنى أجد فى نفسى شعورا قويا جدا بأن المتنبى قد نشأ نشأة شيعية غالية "(٣) .

ومن خلال ما تم عرضه من آراء سابقة، يتضح أن تأثير المذهب الشيعى فى شعر المتنبى جاءت خطوطه واهية، فورود بيت أو أبيات قليلة لا تدل مطلقا على اعتناق المتنبي المذهب الشيعي، وهذا يسمح بالقول : إن ما كان من تنافس بينه وبين أبى فراس إنما هو تنافس شعرى لا مذهبى، فلو كان الثانى لرأينا للمتنبى مطولات تدل على ذلك، إما عن قناعة أو إظهار لبراعته.

---

(١) طه حسين : مع المتنبى،ط١٣/ دار المعارف، سنة ١٩٨٦، ص ٣٥ .

(٢) السابق، ص ٣٦ .

(٣) السابق / ص ٤٤-٤٥ .

وقد يطيب فى النهاية القول : أن لا شئ يمنع من أن تكون هذه الدولة متمثلة فى الأسرة الحمدانية قد تشيعت – تشيعا معتدلا – مجاراة لموجة التشيع التى انتشرت آنذاك حولها، لا سيما أن الدولة العباسية قد وصلت لحد لا يخشى سطوتها،وقد حاول بروكلمان أن يجد تفسيرا لانتشار التشيع فى بلاط الحمدانيين، بيد أنه أخطأ إذ يقول : " إن سيف الدولة أظهر الطاعة للفاطميين عندما نشروا سلطانهم على مصر، وبالتالى انتشر المذهب الشيعى " (١)، فهو يرى أن سيف الدولة تشيع محاباة للفاطميين، ومعروف أن المعز لدين الله الفاطمي دخل مصر سنة ٣٦٢هـ أى بعد وفاة سيف الدولة .

كما أن الحمدانيين لم يجبروا أحدا على اتباع مذهبهم، ولم يغروا أحدا بالمال أوالمناصب، ولم يؤلفوا أنظمة للدعاية ونشر المذهب، بل تركوا الناس يختارون لأنفسهم ما يشاءون، ويعتنقون ما يريدون، فانبرى الدعاة المخلصون، وأعلنوا الحق، فآمن به من آمن، حيث لا ضغط ولا إكراه، على عكس الفاطميين الذين استخدموا وسائل كثيرة لنشر مذهبهم، إذ كان أول ما قاموا به هو بناء الجامع الأزهر ليكون بوقا عاليا لنشر المذهب، وظل كذلك حتى جاءت الدولة الأيوبية .

ولعل هذا التسامح الذي أظهره الحمدانيون كثر حولهم العلماء والأدباء، والوجهاء فازدانت بهم الدولة، فقد كانوا أصحاء في تفكيرهم، لذا تسامحوا، وتركوا للناس حرية القول والتفكير مما جعلهم ملجأ وملاذا لجميع الأديان والمذاهب.

ومما لاشك فيه أن ذلك أثرعلى كثير من شعرائها، كأبى فراس الحمدانى، الذى ولد فى هذه الأسرة الشيعية فنشأ كذلك، وسنرى شعره إنما ينبع من محبته لآل البيت، ذلك الحب المعتدل الذى ندين به جميعا .

---

(١) بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة : منير بعلبكى، ط/ بيروت، سنة ١٩٥٤، ص٨٩.

التشيع فى شعر أبى فراس

أولا: مذهب أبى فراس الديني وأثر ذلك على شعره

بتعدد الفرق والمذاهب الشيعية، إلى أى هذه الفرق ينتسب شاعرنا ؟، وهل فى شعره ما يدل على ذلك ؟ .

الحق أن شعرالشاعر نفسه يعطينا مفتاحا لمذهبه الديني الذي يعتنقه، فهو يذكر فى شعره الأئمة الاثنى عشرية كما سنرى، كما يذكر فى قصيدته التى يهجو فيها العباسيين الإمام موسى الكاظم والإمام عليا الرضا تمجيدا وإعلاء لهما، وهذان الإمامان ليسا من الأئمة عند فرقة الزيدية ولاعند فرقة الإسماعيلية، – والزيدية والإسماعيلية من كبار فرق الشيعة –، وإنما هما من أئمة الاثني عشرية،التى ترى أن "الإمامة منصب إلهي كالنبوة "(١)، حيث يقول :

ليس الرشيدُ كموسى في القياسِ ولا مَأْمونكمْ كالرضا إن أنصف الحكمُ (٢)

وإلى هذا يذهب الدكتور مصطفى الشكعة (٣)، حيث يرى أن الشاعر قد أعطانا في هذه القصيدة – التى منها البيت السابق –إشارة عابرة إلى أنه يعتنق مذهب الاثني عشرية، فإذا كان قد فعل ذلك فى القصيدة السابقة، فإنه ينتقل بنا إلى التصريح والتأكيد في الأبيات التالية التي عدد فيها الأئمة الاثني عشر، واحداً بعد واحد مما لا يدع مجالا للشك أنه كان شيعيا من فرقة الاثنى عشرية، والتى يقول فيها :

لست أرجو النَّجاةَ من كل ما أخْـ ـشاهُ إلا بأحمدٍ وعلـــــيٍّ

وببنت الرّسول فاطمة الطهْـ ـر وسبطيهِ والإمام علـــيٍّ

والتَّقي النقي باقر علـــم الـ ـله فينا محمد بن علـــيٍّ

وابنه جعفرٍ وموسى ومـــولا نا علي أكرم به من علـــيٍّ

---

(١) د. ماهر عبدالله : الشيعة الروافض، ط/ مكتبة الإيمان – القاهرة، سنة ٢٠١٢، ص ١٠٩ .

(٢) أبو فراس الحمداني : الديوان، تحقيق وتعليق : سامي الدهان،ط٢/ المطبعة الكاثوليكية – بيروت ١٩٤٤، ص ٣٥٢ .

(٣) مصطفى الشكعة : فنون الشعر فى مجتمع الحمدانيين ، ص ٢٩٩.

وأبي جعفر سمي رســـــول ال ... لّه ثم ابنه الزكي علـــــــــيٍّ

وابنه العسكري والقائم المـــــظ ... ــهر حقي محمد بن علـــــــيٍّ

فبهم أرتجي بلوغَ الأمـــــــاني ... يوم عرضي على الإله العليٍّ [1]

والاثنا عشر إماما الذين يتخذهم الشيعة الرافضة أئمة لهم يقدسونهم ويستشفعون بهم، ويتوسلون بأرواحهم إلى الله سبحانه وتعالى، يتسلسلون على النحو التالي :

- علي بن أبي طالب رضي الله عنه،والذي يلقبونه بالمرتضى رابع الخلفاء الراشدين، و صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد مات غيلة حينما أقدم الخارجي عبدالرحمن بن ملجم على قتله في مسجد الكوفة في ١٧رمضان سنة٤٠هـ .

- الحسن بن علي رضي الله عنهما ويلقبونه بالمجتبي .

- الحسين بن علي رضي الله عنهما ويلقبونه بالشهيد .

- علي زين العابدين بن الحسين (٨٠-١٢٢هـ) ويلقبونه بالسَّجَّاد .

- محمد الباقر بن علي زين العابدين (ت ١١٤ هـ) ويلقبونه بالباقر.

- جعفر الصادق بن محمد الباقر (ت ١٤٨هـ) ويلقبونه بالصادق .

- موسى الكاظم بن جعفر الصادق (ت ١٨٣هـ) ويلقبونه بالكاظم .

- علي الرضا بن موسى الكاظم (ت ٢٠٣ هـ) ويلقبونه بالرضي .

- محمد الجواد بن علي الرضا (١٩٥-٢٢٦هـ) ويلقبونه بالتقي .

- علي الهادي بن محمد الجواد (٢١٢-٢٥٤هـ) ويلقبونه بالنقي .

- الحسن العسكري بن علي الهادي (٢٣٢-٢٦٠هـ) ويلقبونه بالزكي .

- محمد المهدي بن الحسن العسكري ولا أحد يعلم متى ولد، ويقولون إنه لم يمت، ولكنه غاب في السرداب، وهو مهدي الرافضة، ويلقبونه بالحجة القائم المنتظر، والرافضة يزعمون بأن الإمام الثاني عشر قد دخل سردابا في دار أبيه بسُرَّ مَنْ رَأى ولم يعد، وقد اختلفوا في سنة ومدة اختفائه فقيل أربع سنوات وقيل ثماني سنوات، غير أن معظم

(١) الديوان : ص ٢٣٠.

الباحثين يذهبون إلى أنه غير موجود أصلا وأنه من اختراعات الشيعة ويطلقون عليه لقب المعدوم أو الموهوم(١) .

وقد ذكر أبوفراس الحمدانى هؤلاء الأئمة جميعا، ففى البيت الأول ذكر عليا، وفي البيت الثاني ذكر الحسن والحسين وعلي بن الحسين، وفي البيت الثالث ذكر محمدا الباقر، وفي البيت الرابع ذكر جعفرا الصادق وموسى الكاظم وعليا الرضا، وفي البيت الخامس ذكر أبا جعفر، وهو محمد الجواد وعلي الهادي، وفي البيت السادس ذكر الإمام العسكري والمهدي المنتظر، الذى " تسلم منصب الإمامة من أبيه ثم دخل سرداب سامراء وظل مختفيا عن الأنظار خمسة وستين عاما، يتصل بهم عن طريق نوابه، وهذه الفترة تسمى الغيبة الصغرى " (٢)، وفى هذا دليل قوى على اعتناق شاعرنا مذهب الاثنى عشرية .

ولشاعرنا أبيات أخرى يتوسل بها ويطلب الشفاعة بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والسيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها، والأئمة الاثني عشر، إذ يقول :

شافعيٌّ أحمدُ النَّبي ومولا ... ي علي والبنتِ والسبطان

وعليٌّ وباقرُ العلم و الصَّا ... دقُ ثم الأمين ذو التبيان

وعلي ومحمد بن علي ... وعلي والعسكري الداني

والإمامُ المهدي فى يوم لاين ... ـفع إلا غفران ذي الغفران (٣)

ومعروف أن أبا فراس قد تربي في قصر ابن عمه سيف الدولة، وتحت عينه، منذ نعومة أظافره، وترعرع على يديه، وتعلم تحت وصايته، وأنه قد اختار له معلما ومربيا اثني عشريًّا، وبذلك يتضح لنا أن سيف الدولة بخاصة، والحمدانيين بعامة كانوا يعتنقون المذهب الاثني عشري .

---

(١) النوبختى : فرق الشيعة، ط/ استانبول ١٩٨٢، ص ١١٤، وما بعدها.

(٢) د . أحمد فريد : عقائد الشيعة، ط/ دار المجد للنشر والتوزيع – الإسكندرية، سنة ٢٠٠٨، ص ٣٠.

(٣) الديوان : ص ٢٢٤ .

ثانيا : هجاؤه العباسيين وثورته على أعداء العلويين:

بعد وفاة سيدنا على بن أبى طالب – رحمه الله – بدأ الصراع بين المتشيعين لـه ولأبنائه، وبين الدولة الأموية، وبدأ هذا الصراع بحرب كلامية، بدأ فيها تدليس الأحاديث كحرب دعائية، ثم انقلبت إلى حرب دموية، أدت إلى مقتل معظم آل البيت رضى الله عنهم،وقد نجحت دعوة سرية للشيعة استغلها العباسيون فى هدم الدولة الأموية سنة ١٣٢هـ، وانجلى الأمر ليتضح أن القادة السريين للدعوة الجديدة ليسوا من نسل سيدنا علىّ بن أبى طالب، بل من نسل بنى عمومتهم من بنى العباس، حتى إذا ما قامت الدولة العباسية بدأ الصراع المسلح بين العباسيين والعلويين، بل اشتد ليتجلى ذلك فى ثورة محمد النفس الزكية، وبعد قتله وسجن أتباعه من كبارالعلويين سنة ١٤٥هـ، استمر الصراع العسكرى بين العباسيين والعلويين فى الحجاز، وكان منها ثورة الحسين بن على من نسل الحسن بن على، وقد هزمه العباسيون فى عهد الخليفة العباسى الهادى سنة ١٦٩ هـ، وقد ولدت تلك الصراعات بما فيها من اضطهادات للعلويين كرها فى قلوب شيعة بنى على لبنى العباس، ولم يبق شاعر متشيع إلا وعبرعن هذا الكره وذلك البغض، وقد كان شاعرنا كذلك، كما سنرى .

وقد كان للتشيع مهارته الكبرى فى التسلل إلى المذهب السني باصطناع الرواة والتخفى بين أسماء أئمة السنة، وبذر أحاديث شيعية الهوى داخل المذهب السني، بيد أن مهارتهم الكبرى تجلت فى إنشاء فرق جديدة تبدو بعيدة ظاهريا عن التشيع، بعض هذه الحركات والتيارات ما لبثت أن ابتعدت عن التشيع ــ منشأه الأصلى ــ بعد أن حظيت بأتباع كثيرين، وكان من أهم تلك الفرق فرقة الرافضة التى ينتسب إليها أبوفراس،والتى افترقت بعد زمان على – رضي الله عنه – أربعة أصناف : زيدية وإمامية وكيسانية وغلاة، وافترقت الزيدية فرقا، والإمامية فرقا، والغلاة فرقا (١)، وكان شعراؤها كثيرا ما يفحشون فى هجاء أعداء على وبنيه، كما هو الحال عند أبى فراس، الذى كان معتدلا فى تشيعه، وهجائه .

---

(١) البغدادي : الفرق بين الفرق، ط/ مكتبة المعارف – بيروت، سنة١٩٧٨م، ص ١٢٩.

ومن أولى قصائد أبى فراس التى تقابلنا تلك الميمية التى يهجو فيها العباسيين وهى ثورة جامحة من الشاعر على أعداء العلويين، ورد قوى مفحم على من يحاول المساس أو الدنو من على وبنيه رضى الله عنهم، وقد بدأها بداية فيها حزن كثير وحسرة على ما أصاب الدين من ضياع، والحق من هضم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لم تصن حرمته ولم تراع أحقيته، وهى استهلالة تعكس نفسا ملتاعة لشاعر متشيع مخلص، وفيها لفت انتباه وجذب لقارئه ؛ لأن الأمر يمس الدين، ويتعلق بحرمة الرسول صلى الله عليه وسلم،يقول :

الدينُ مختـرمٌ والحـقُ مهتضـمٌ وفـئ آل رسـول الله مقتسـمُ(١)

فالشاعر لا يزوره النوم إلا لماما، وقد أصابه الأرق واعتلاه الهم والحزن، وقلبه وفكره فى صراع دائم ويقظة حادة من أجل نصرة الحق الذى عزم على أخذه، فهو يعد لهذا الأمر إعدادا جيدا، بالتدبير الحسن الذى سيرجع به حق العلويين، جامعا الناس حول فكرته ليكون عزمه وحزمه أكيدا، يقول :

إنِّي أبيت قليل النوم أرّقنـي قلبٌ تصارع فيه الهـمُّ والهمـمُ

وعزمةٌ لا ينـام الليـلَ صاحبـُها إلا على ظفـرٍ فـي طيه كَـرَمُ

يصانُ مهري لأمـرٍ لا أبـوح بـه والدّرع والرمح والصمصامة الخذِمُ

وفتيةٌ قلبهـم قلـبٌ إذا ركـبوا يومًا ورأيهمُ رأيٌّ إذا عـزمُوا (٢)

ويرفع أبو فراس عقيرته وصوته عاليا مستصرخا وشاحذا همم الرجال للانتصار للعلويين من الطغاة الظلمة احتسابا لله سبحانه وتعالى، ويصور أبو فراس ما وصلت إليه حالة الدولة العباسية من ضعف وخور وتفكك وسيطرة طغام الناس على الخليفة، فأمرهم كله مردود إلى النساء والجوارى والغلمان الخدم، أما بنى على فمقهورون فى بيوتهم، يقول :

يـا للرجـال أَمَـا لله منتصـفٌ من الطغـاةِ؟ أما للهِ منتقـمُ؟

---

(١) الديوان : ص ٣٤٨ .

(٢) الديوان : ص ٣٤٩.

بنو علـــيٍّ رعايـــا فـــي ديارهـــمٍ والأمرُ تملكه النسوانُ والخدمُ(١)

ثم يندد شاعرنا بظلم العباسيين وطغيانهم، متعجبـــا كيـــف يفخرالعباســـيون علـــى العلويين – داعيا عليهم –، فهم لا يتساوون فى الشرف والرفعة،ولا يتساوون حتى فـــى النسب، فالعلويون جدهم النبى صلى الله عليه وسلم، وشتان بين النبـــى والعبـــاس بـــن عبدالمطلب جدهم، وأم عبدالله والد النبى صلى الله عليه وسلم هى فاطمـــة بنـــت عمـــرو المخزومية، وهى من هى، لا تضاهيها أبدا أم العباس بن عبدالطلب نفيلة بنت كليب بـــن حسان بن مالك، يقول :

لا يُطغينَّ بنـــي العبـــاس ملكُهُـــمُ بنو علي مواليهم وإن زَعَمـــُوا

أتفخـــرون عليهـــم؟لا أبـــا لكـــمُ حتى كـــأنَّ رســـول الله جدكُـــمُ

وما توازن يومًا بينكـــم شـــرفٌ ولا تساوتْ لكم في موطـــنٍ قَدَمُ

ولا لكمْ مثلهم في المجد متصـــل ولا لجدكـــم مسعـــاة جـــدهـــم

ولا لعرقكم مـــن عرقهـــم شَبَـــهٌ ولا نفيلتكـــم من أمهـــم أممُ(٢)

ويشير الشاعر إلى أمر مهم طالما تحدث عنه الشيعة، وذكـــروه فـــى شـــعرهم، – وهذا يدل على تشيع صاحبنا بكل قوة –، وهو الحديث عن واقعة غدير خم، وهـــى عنـــد الشيعة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، ويفضلونه على عيدي الفطـــر والأضـــحى، ويسمونه بالعيد الأكبر وهم يصومون يومه، وفيها يدعى غلاة الشيعة أن النبى صـــلى الله عليه وسلم أوصى لسيدنا على بالخلافة من بعده، ومن ثم فالصديق والفاروق قد اغتصبا الخلافة من على رضى الله عنهم جميعا (٣).

وهنا يرى أبوفراس هذا الرأى ويقرر أنه لا يعترف مطلقا بالشورى فى الخلافـــة، بل صاحبها على بن أبى طالب بعهد من النبى صلى الله عليه وسلم، وقـــد شـــهد النـــاس والملائكة على ذلك العهد، ويرى أن من نال الخلافة قبل على لم يكن لهـــا بأهـــل وأنـــه

(١) الديوان :ص ٣٤٩.

(٢) الديوان : ص ٣٥٠.

(٣) د. أحمد فريد : عقائد الشيعة، ص ٣١.

مغتصب لحق على، والشاعر يعكس تعصب الشيعة فى هذه المسألة، ورفضهم أن تكون الخلافة فى غيرعلى وبنيه،والأعجب أن عليا نفسه بايع أبابكرالصديق رضى الله عنهم بالخلافة، وبايع من بعده سيدنا عمرالفاروق، ودافع هو وبنوه عن سيدنا عثمان رضى الله عنه فى داره، لكن الشاعر يتبنى رأى مذهبه، إذ يقول :

قامَ النَّبي بها يوم الغدير لهم ... والله يشهدُ والأملاكُ والأممُ

حتى إذا أصبحتْ في غير صاحبها ... باتتْ تنازعها الذؤبانُ والرخمُ

وصيّروا أمرهم شورى كأنهمُ ... لا يعلمون ولاةَ الحق أيهمُ

تالله ما جَهلَ الأقوامُ موضعها ... لكنهم ستروا وجه الذي عَلمُوا[1]

ويتعجب شاعرنا فى قصيدته من ادعاء العباسيين وافترائهم على العلويين بالخلافة، وليس لهم فيها قدم راسخة،ولا حق مطلق، حتى بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم لم يذكر أحد أن لهم حقا فى الخلافة، أو حكم لهم بها، ولم تذكر لهم سيرة، وبعد وفاة أبى بكر رضى الله عنه عهد بها إلى سيدنا عمر ولم يعهد بها لهم، كذلك جعلها سيدنا عمر شورى فى ستة نفر دونهم، ثم يقارن أبو فراس فعلهم بالعلويين وهم فى الخلافة، بأفعال سيدنا على أثناء خلافته فقد أدنى قرابتهم ووصل رحمهم، وأكرم آل العباس بن عبدالمطلب، ولا يستطيع أحد نكران ذلك، ثم يطلب منهم الصفح عنهم وفك كربهم، وإفراج همهم، كما فعلوا بأسيرهم يوم بدر، ويستنكر فعلهم بالديباج، وتعذيبهم له، – والديباج هو محمد بن عبدالله أخو بنى الحسن لأمهم فاطمة بنت الحسين سبط رسول الله، ضربه الخليفة المنصور مئتين وخمسين صوتا –، وعن سبكم لبنات النبى صلى الله عليه وسلم، وفى ذلك يقول :

ثم ادّعاها بنو العباس إرثهمُ ... ومالهمْ قَدَمٌ فيها ولا قِدَمُ

لا يذكرون إذا ما معشرٍ ذُكِرُوا ... ولا يحكَّمُ في أمرٍ لهم حكمُ

ولا رآهم أبو بكرٍ وصاحبهُ ... أهلا لما طلبوا منها وما زعمُوا

أمّا علي فقد أدنى قرابتكمْ ... عند الولاية إن لم تُكفر النعمُ

---

(١) الديوان، ص ٣٥٠.

أينكــر الحبْرُ عبد الله نعمتـــــــه أبوكــم أم عبيــد الله أم قــثـــمُ؟!
هلا صفحتمْ عن الأسرى بلاسبــبٍ للصافحين ببدرٍ عن أسيركـــــمُ
هلا كففتم عن الديباج سوطكـــــم وعن بناتِ رسولِ الله شتمكــمُ(١)

ويواصل الشاعر فى قصيدته تعداد مساوئ الخلفاء العباسيين وغدراتهم بآل البيت، ويضرب بالخليفة هارون الرشيد مثلا فى الغدر، إذ غدر بالإمام موسى الكاظم سليل البيت النبوى، كما غدر ابنه المأمون بالإمام على بن موسى الرضا، وذاق الزبيرى وهو عبدالله بن مصعب نفس الحتف والمصير، فهل يتساوى الرشيد وموسى الكاظم ؟ وهل يتســاوى المأمون بالرضا ؟ .

وقد استعمل السفاح أخاه يحيى بن محمد على الموصل فأمنهم ونادى مــن دخــل الجامع فهو آمن، وأقام الرجال على أبواب الجامع فقتلوا الناس قتلا ذريعا، حتى قيل إنــه قتل فيه أحد عشر ألفا وخلقا آخر أكثر، وأمر بقتل النساء والصبيان ثلاثة أيام وذلك فــي سنة ١٣٢، وكل هذه الجرائر التى ارتكبها العباسيون فى حق العلويين هى أكثر بكثير مما ارتكبه الأمويون بنو حرب، على الرغم من قتلهم الحسين ومعظم آل البيت (٢) .

وفى ذلك يقول الشاعر :

مَا نَال منهم بنو حربٍ وإن عظمــتْ تلــك الجرائــر إلا دون نيلكـــــمُ
يا جاهدًا في مساويهــم يُكتّمهـــــا غدر الرشيد بيحيى كيف ينكتـــــمُ
ذاقَ الزبيريُّ غبَّ الحنث وانكشــفتْ عن ابن فاطمة الأقــوال والتُّهـــمُ
ليس الرشيدُ كموسى في القياس ولا مأمونكمْ كالرضا إن أنصفَ الحَكَــمُ
باءوا بقتل الرضا من بعــد بيعتــه وأبصروا بعض يوم رشدهم وعمُوا
لا عن أبي مسلمٍ في نصحه صفحوا ولا الهبيري نجّى الحلفُ والقَسَــمُ

(١) الديوان : ص ٣٥٠ – ٣٥١ .
(٢) د. شاكر مصطفى : دولة بنى العباس، ط/ وكالة المطبوعات – الكويت، سنة ١٩٧٤، ص١٢٤.

ولا الأمان لأهل الموصل اعتمــدوا فيه الوفاء ولا عن غيهم حلمُوا[1]

ولا يزال أبو فراس الحمداني يتهكم ويسخر من العباسيين ويندد بهم وبأفعالهم فى صوت قوى كله قوة وشجاعة، يسخر من هؤلاء الذين يدعون أنهم خلفاء ملاك، والملاك الحقيقيون هم من سيطرعلى مقاليد الأمورفى الخلافة من العجم والغلمان الخدم، وأى فخر لقوم صاروا ألعوبة فى يد غيرهم، يقول :

أبلغْ لديك بنــي العبــاس مألكـــة لا تدّعوا ملكها ملاكهــا العجَـــمُ

أي المفاخر أمست فــي منابركـــمْ وغيركــم آمــرٌ فيهــا ومحتكـــمُ

أنى يفيدكــم فــي مفخــرٍ علـــم؟ وفي الخلاف عليكم يخفق العلــمُ(٢)

ثم يوازن الشاعر بين بنى العباس وبين بنى على، فالأولون أرباب ســكر وباعــة خمر، فكيف يفخرون على قوم يضحون بدمائهم رخيصة وبأرواحهم سهلة فــى الحــروب دون خوف ولا وجل، فى سبيل نصرة الحق، ثم يطلب منهم أن يدعوا فخرهم، فالأولى به هؤلاء العلماء من بنى على الذين إن سئلوا أفتوا وأجابوا، وهم أربــاب عمــل وعبــادة تتطابق أقوالهم مع أفعالهم، لا يغضبون لأمر من أمور الدنيا، فقط إرضاء لله أو انتهاكــا لحرماته، وإن حكموا فبكتابه سبحانه وتعالى، لاتنقطع أصوات القــرآن ببيــوتهم وقــت السحر، فى الوقت الذى تسمع فيه أصوات الأوتار والغناء صاخبة فــى منــازلكم، وهــو تصوير يعكس ما كان يحدث فى بيوت الخلفــاء العباســيين أو ذوى الأمــر منهم،فبينمــا القرآن يتلى فى بيوت العلويين من قرائهم وأئمتهم، يصدح شاعرهم ببيت زهير بن أبــى سلمى المشهور:

قف بالديار التى لم يعفها القدم بلى، وغيرها الأرواح والديم

وبكل قوة وشجاعة وصوت مرتفع يعير الشاعر بنى عباس بــأن مــنهم "علیــة " المغنية، وهى أخت الخليفة هارون الرشيد نفسه، ومنهم إبراهيم بن المهدى الذى صــار خليفة بعد ذلك، فهل فى بنى على مغنون ؟، فليس فى بيوتهم خمر ولا شر ولا إفــك، ولا مخنثين ولا قرود يتلاعبون بها، – والشاعر يصور ما كان يحدث فــى بيــوت الأمــراء

(١) الديوان : ص ٣٥٢ .

(٢) الديوان : ص ٣٥٤.

وقصورهم –، فهم لا يعرفون سوى البيت الحرام بركنه وبيته وزمزمه وصفاه وحجره وحرمه، يقول :

يا باعةَ الخمرِ كفّوا من مفاخركم ... لمعشرٍ بيعهم يوم الهياج دمُ
خلّوا الفخار لعلاَّمين إن سُئلوا ... يوم السؤال وعمَّالين إن عملوا
لا يغضبون لغير الله إن غَضبوا ... ولا يضيعون حكمَ الله إن حكمُوا
تنشى التلاوةُ في أبياتهم سحرا ... وفي بيوتكم الأوتارُ والنغمُ
إذا تلوا آيةً غنَّى إمامَكُمُ ... قفْ بالدِّيار التي لم يعفها قدمُ
منكم عُليَّة أم منهم ؟ وكان لكم ... شيخ المغنين إبراهيم أم لهمُ؟
ما في بيوتهم للخمر معتصر ... ولا بيوتهم للشرّ معتصمُ
ولا تبيت لهم خنثى تنادمهم ... ولا يرى لهم قردٌ له حشمُ
الركنُ والبيتُ والأستارُ منزلهم ... وزمزمٌ والصّفا والحجرُ والحرمُ(١)

ثم يختم الشاعر قصيدته بالصلاة على آل البيت رضى الله عنهم جميعا، فهم كهف الأمة وملاذها الدائم، يقول :

صلى الإلهُ عليهم أينما ذكرُوا ... لأنَّهم للورى كهفٌ ومعتصمُ
وليس من قَسَمٌ في الذّكر نعرفهُ ... إلا وهم –دون شك– ذلك القَسَمُ(٢)

وقد جاءت هذه القصيدة معبرة عن نفس الشاعر صادقة فى حسها ونبضها فكانت متينة السبك والبناء، ويروى عن بعض الفضلاء أن أبا فراس الحمدانى دخل حاضرة الخلافة "بغداد "، وأمر أن يشهر خمسمائة سيف خلفه وقيل أكثر ووقف في المعسكر وأنشد القصيدة وخرج من باب آخر(٣)، وإن صدقت الرواية ففى هذا دليل على شدة تشيعة، شدة لا يخاف معها سطوة العباسيين، إذ كان ذلك فى عقر دارهم .

---

(١) الديوان : ص ٣٥٥ .
(٢) الديوان : ص ٣٥٥.
(٣) جواد شبر : أدب الطف أو شعراء الحسين من القرن الأول الهجرى حتى القرن الرابع عشر، ج٢ / دار المرتضى، ١٩٨٢، ص ٦٦.

ثالثا : بكاء الحسين وفضائل على:

أبيات عديدة تلك التى نظمها أبوفراس فى ديوانه وكلها تفيض حبا وولاء لآل البيت الأطهار، وعلى عادة القدماء يبدأ أبوفراس قصيدته التالية متغزلا غزلا ذكوريا لا يتناسب مطلقا مع موضوع القصيدة وأجوائها الحزينة، متذكرا يوما له بسفح الدار إذ رأى فتية كأنهم البدر ليلة التمام، وقد كلف بأحدهم كلفا شديدا، ملأ عليه نفسه وقلبه بجماله الذى يشبه جمال الظبى، وهو هنا يتماشى مع انتشار هذا اللون من الغزل، فقد كانت البيئة التى عاش فيها أبو فراس تساعد على انتشاره (١)، فهذا اللون من الغزل انتشر فى تلك البيئات آنذاك انتشارا شديدا نتيجة لشيوع الروح الفارسية وكثرة شرب الشعراء للخمر(٢)، وتغزله فى تلك الأبيات لا يدل على طبع ركب فى نفس الشاعر أو جبل عليه، فشخصيته البطولية الجهادية لا تتواءم مطلقا مع ذلك ولا تدل عليه، أيضا اتزانه واعتدال قصائده يؤكد هذا، بيد أن ذلك لم يعف الكثير من إلصاق هذه التهمة بأبى فراس كما حاول آدم متز(٣) .

يقول شاعرنا فى مفتتح قصيدته :

يومٌ بسفحِ الدّير لا أنساه ... أرعى له دهري الذي أولاهُ

يومٌ عمرت العمر فيه بفتيةٍ ... من نورهمْ أخَذَ الزمانُ بهاهُ(٤)

ويظل الشاعر متغزلا بغلامه فى عدة أبيات، ليلج بعد ذلك بكل حرفية وشاعرية واقتدار إلى غرض القصيدة الأصلى، دون أن يشعر القارئ بتلك النقلة، حيث شبه حرمانه من وصل هذا الغلام الذى أحبه، بحرمان سيدنا الحسين من سقيه ماء يوم مقتله فى كربلاء، يقول :

فحرمت قرب الوصل منه مثل ما ... حُرِمَ الحسينُ الماء وهو يراهُ(٥)

---

(١) د. أحمد بدوى : شاعر بنى حمدان، ط٢/ لجنة البيان العربى – مصر ١٩٩٦، ص ١١٤ .

(٢) د . درويش الجندى : الشعر فى ظل سيف الدولة، ط/الأنجلو المصرية، سنة ١٩٥٩، ص ٢٤١.

(٣) آدم متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى : ترجمة : محمد عبدالهادى أبوريده،ط/ دار الكتاب العربى – لبنان، ١٩٦٧، ج١، ص ١٦٦– ١٦٧ .

(٤) الديوان، ص ٤٢٢ .

(٥) الديوان : ص ٤٢٢ .

فى العاشر من المحرم سنة ٦١ هجرية، وفى كربلاء وقد حمى وطيس المعركة بين آل البيت رضى الله عنهم، وجيش ابن زياد من قبل الأمويين، وقد اشتد العطش بسيدنا الحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فطلب ماء، فانهالت عليه الرماح تمزق جسده الشريف بدلا من قرب الماء، ليصب دمه الزكى راويا رمال كربلاء، ثم تحز رأسه فى منظر بشع تأباه كل النفوس، وقد تجرأوا على قطع رأس الحسين التى طالما قبَّلها رسول الله ووضعها فى حجره الطاهر.

وقد صور الشاعر ذلك اليوم الحزين الكئيب، بأن الشمس قد تغير لونها فأظلمت حزنا وأسفا، وبكت السماء دما لما حدث من مقتل آل البيت، وهوتصوير رائع من الشاعر يصور فيه هول الموقف، ثم يطلب من الناس أن يتفاعلوا معه حزنا وبكاء، إذ لا عذر لأحد لا ينصر حسينا حتى ولو بالبكاء والحزن، وهذا ما نراه من فعال الشيعة فى ذكرى هذا اليوم من البكاء والنحيب .

وتعد حادثة الحسين، ومقتله فى كربلاء رضى الله عنه، مادة دسمة لكل شعراء الشيعة، لا يكفون عن الحديث فيها، أو الدعاء بالنحيب وشدة البكاء كلما جاء ذكرها، يقول الشاعر :

إذ قال: اسقوني فعوّض بالقَنَا ... من شرب عذبِ الماءِ ما أرواهُ

فاجتزَّ رأسًا طالما من حجرهِ ... أدنته كفّا جده ويداهُ

يومٌ بعين الله كان وإنّما ... يملي لظلم الظالمين اللهُ

يومٌ عليه تغيّرت شمسُ الضّحى ... وبكتْ دمًا مما رأته سماهُ

لا عذر فيه لمهجةٍ لم تنفطرْ ... أو ذي بكاءٍ لم تفضْ عيناهُ

تبّا لقومٍ تابعوا أهواءَهمْ ... فيما يسوءهم غدا عقباهُ(١)

ثم يعرض الشاعر لحادثة غدير خم، وقد كثرت الأقوال بين الشيعة والسنة عن هذه الواقعة، لكننا لسنا هنا فى معرض تحقيق، – وقد جاء هذا الحديث فى مسند الإمام أحمد – وخلاصتها أن النبى صلى الله عليه وسلم توقف أثناء زيارته لبيت الله الحرام ؛ لصلاة

(١) الديوان : ص ٤٢٢ .

الظهر والعصر قرب غدير فى منطقة غدير خم ومعه عشرات الآلاف من الصحابة، فألقى خطبة، ثم قال: " من كنت مولاه فعليٌّ مولاه " ، ثم دعا اللهَ قائلاً: " اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله "([1])، ومن وقتها والشيعة يرونها حجة لإمامة سيدنا على بعد النبى صلى الله عليه وسلم، ومن بعده بنيه، وبذلك يصبح فى عرفهم أن سيدنا أبابكر الصديق والفاروق عمر، قد اغتصبا الخلافة من سيدنا على، رضى الله عنهم جميعا .

وفى هذه الأبيات يشير إلى بنى العباس قائلا : ألم تسمعوا قول النبى صلى الله عليه وسلم، لعلى رضى الله عنه، ووصيته له بالولاية .

يقول :

أتراهمُ لم يسمعوا ما خصَّه ... منه النبي من المقال أباهُ؟!

إذ قال يوم (غدير خمٍّ) معلنا ... من كنت مولاه فذا مولاهُ

هذى وصيته إليه فافهموا ... يا من يقول بأنَّ ما أوصاهُ

أقروا من القرآن ما في فضلهِ ... وتأملوه وافهموا فحواهُ[2]

ثم يعدد الشاعر صفات سيدنا على بن أبى طالب، وما أنزله الله فيه من قرآن وما جبله عليه من صفات، ويذكر أن عليا – رضى الله عنه – كان أول من سمع القرآن من فِى النبى صلى الله عليه وسلم، وأول من حفظه وحواه وتلاه،وهو رضى الله عنه بعد حصار خيبر لم تفتح إلا به، إذ أخذ باب الحصن وخلعه بيديه – وهى قصة مشهورة عن سيدنا على – وجعل المجاهدين من المسلمين يمرون عليه إلى داخل الحصن، وهو الذى ناصر النبى صلى الله عليه وسلم طوال حياته، وقد بات نيابة عنه عليه السلام فى فراشه ليلة الهجرة، حينما عزمت قريش على قتله صلى الله عليه وسلم، وهو الذى أنزل الله فيه قرآنا يتلى إلى يوم الدين، ووصفه بأنه من الصادقين القانتين لربهم، وهو الذى أرسل الله إليه سلاما وتحية على يد جبريل عليه السلام .

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط/ دار المعارف، سنة ١٣٦٦هـ،ج ٢، رقم الحديث ٩٦٤، ص ٢٠١.
(٢) الديوان : ص ٤٢٣.

وبعد كل ذلك الجلال والكمال تقتلون أولاده وعترته، وترجون شفاعة النبى يـوم القيامة، أو ترجون سقيا من حوضه صلى الله عليه وسلم، كيف ذاك وهذه فعالكم ؟،وفـى ذلك يقول الشاعر:

مَن كان أولَ من حَوَى القرآنَ مِـنْ لفظ النبي ونطقه وتـلاهُ؟
مَن كان صاحب فتح خيبر ؟ مَن رمى بالكفِّ منه بابه ودحـاهُ؟
مَن عاضد المختارَ مِن دون الورى؟ مَن آزر المختارَ من آخـاهُ؟
مَن بات فوق فراشهِ متنكِّـرا لما أطلَّ فراشه أعـداهُ؟
مَن ذا أراد إلهنا بمقالـه : الصّادقون القانتون سـواهُ؟
مَن خصّه جبريلُ مِن ربِ العـلى بتحيةٍ مِن ربّه وحـباهُ؟
أظننتُمُ أن تقتلـوا أولادَه ويظلكم يوم المعاد لـواهُ؟
أو تشربوا من حوضهِ بيمينـهِ كأسًا وقد شربَ الحسينُ دماهُ؟ (١)

ثم يعرض لحادثة أخرى، وهى حادثة الكساء، وقد دار حولها ما دار عـن حادثـة غدير خم من قبل الشيعة، وخلاصتها فى الآتى: من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: " خرج النبي صلى الله عليه وسلم غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثـم قال: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا" (٢)، فهؤلاء الخمسة هم أصحاب الكساء الذى يعنيهم الشاعر حين يقول :

أنسيتُمُ يومَ الكساءِ وإنـّه ممن حواه مع النبي كسـاهُ ؟(٣)

ويختم أبو فراس الحمدانى قصيدته متوجها بحديثه إلى ربه سبحانه وتعالى، قائلا :

---

(١) الديوان : ص ٤٢٣ .

(٢) الترمذي : صحيح الترمذي : شرح الإمام ابن عربى المالكى، ط/ دار الكتاب العربى – بيروت (د.ت)، ص ٢٣١.

(٣) الديوان : ص ٤٢٤ .

يا ربِّ إنِّي مهتد بهداهـــمُ لا أهتدي يوم الهدى بســـــواهُ

أهوى الذي يهوى النبي وآله أبدًا وأشنأ كلَ من يشنـــــــاهُ

وأقول قولا يستدل بأنَّـــــه مستبصرٌ من قالـــــــه ورواهُ

شعرا يود السامعون لو انـــه لا ينقضي طول الزمان هـــــداهُ

يغري الرواة إذا روته بحفظه ويروق حسن رويه معنـــاهُ(١)

مؤكدا في هذه المقطوعة أنه لا يهتدى بهدى سوى هدى آل البيت دون سواهم، وأنه يهواهم هم والنبى صلى الله عليه وسلم، ويبغض كل من يبغض النبى ويبغضهم رضوان الله عليهم، وفى هذا تمسك شديد بحب آل البيت، ومذهبه الذى يدين به، ثم نراه يفخر بنفسه وبقصيدته تلك، وأنه قول يغرى بالحفظ والرواية لذكر آل البيت فيه .

وبهذه المقطوعة التى ختم بها أبو فراس الحمدانى قصيدته، يتضح منها ومما سبق أن أبا فراس كان شديد الحرص على إظهار حبه المعتدل لآل البيت، وأنه فقط يبغض من يبغضهم، ويشنأ من يشنأهم، دون تكفير أحد أو مغالاة فى سب أحد، شأن أصحاب هذا المذهب، ولعل اعتداله فى هذا الحب والتشيع، واعتدال الحمدانيين عامة حبب فيهم العلماء والأدباء فالتفوا حولهم، وأحيوا ذكرهم .

(١) الديوان : ص ٤٢٤ .

الخاتمة

بما تم طرحه سابقا، نكون بحمد الله قد وصلنا إلى خاتمة البحث، الذى انتهى إلى النتائج الآتية :

أولا : الأسرة الحمدانية أسرة متشيعة تدين بمذهب الاثنى عشرية، وعلى رأسهم شاعرنا أبو فراس،وقد عبر عن هذا التشيع كثير من شعرائهم نحو :" كشاجم – السرى الرفاء – أبو بكر الخالدى ...."، وقد كانوا متسامحين فى مذهبهم، ولم يتجبروا فى نشره، مما كثر حولهم العلماء والأدباء، فازدان به بلاطهم .

ثانيا : تأثير المذهب الشيعى فى شعر المتنبى جاءت خطوطه واهية، وهذا يدل على أن التنافس بينه وبين أبى فراس كان تنافسا شعريا لا مذهبيا .

ثالثا : هجاء شاعرنا العباسيين كان معتدلا في أحيان كثيرة، منصبا فى التنديد بهم، وبطغيانهم واستلابهم الخلافة من بنى عمومتهم،على عكس كثير من شعراء الشيعة الذين يغالون فى هجائهم لأعداء العلويين لدرجة قبيحة، قد تصل إلى حد تكفيرهم .

رابعا : كانت الحوادث التى مرت بالعلويين كغدير خم والكساء ومقتل الحسين وكثير من العلويين، مادة دسمة فى شعره،كغيره من شعراء الشيعة،وهذا يعكس ولاءه الشديد لآل البيت، وحبه لهم .

خامسا : كان معتدلا فى ذكره فضائل سيدنا على فى شعره، ولم يصل به كما وصل غلاة الشيعة من تأليهه رضى الله عنه .

سادسا : قدم فى شعره الشيعى معلومات تاريخية بجانب نثر المؤرخين، كغدرات العباسيين بأبي مسلم الخراساني، ويزيد بن هبيرة، ومقتل الطالبيين كموسى الكاظم وعلى الرضا .

سابعا : معظم ما وصل إلينا من شعره الشيعي، إنما يعكس حبا مقبولا لآل البيت،لا يخرجه عن الملة كغيره من المتشيعين، وهو الحب الذى ندين به جميعا .

المصادر والمراجع

- ابن الأثير : المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر، تحقيق د: أحمد حوفى ود: بدوى طبانة، ط/ نهضة مصر، (د.ت)، ج ٨ .
- أحمد أمين : فجر الإسلام، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٩٦.
- أحمد بدوى : شاعر بنى حمدان، ط٢/ لجنة البيان العربى – مصر، ١٩٩٦ .
- د . أحمد فريد : عقائد الشيعة، ط/ دار المجد للنشر والتوزيع _ الإسكندرية، سنة ٢٠٠٨.
- آدم متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى : ترجمة : محمد عبدالهادى أبوريده،ط/ دار الكتاب العربى – لبنان ١٩٦٧، ج١.
- بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة : منير بعلبكى، ط/ بيروت، سنة ١٩٥٤.
- البغدادي : الفرقُ بين الفِرق، ط/ مكتبة المعارف – بيروت، سنة١٩٧٨م.
- الترمذي : صحيح الترمذي : شرح الإمام ابن عربى المالكى، ط/ دار الكتاب العربى – بيروت (د.ت).
- الثعالبي : يتيمة الدهر،ط٢/ مطبعة السعادة – القاهرة ١٩٥٦، ج٢.
- جواد شبر : أدب الطف أو شعراء الحسين من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر، ط/ دار المرتضى ١٩٨٢، ج٢ .
- ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق : د. إحسان عباس، ط/ دار الثقافة – بيروت ١٩٧٧، ج٢.
- درويش الجندى : الشعر فى ظل سيف الدولة، ط/ الأنجلو ١٩٥٩.
- السري الرفاء : الديوان، تحقيق : حبيب حسين الحسنى، ط/ دار الرشيد – العراق، سنة ١٩٨١.
- شاكر مصطفى : دولة بنى العباس، ط/ وكالة المطبوعات – الكويت، سنة ١٩٧٤.
- طه حسين : مع المتنبى، ط١٣/ دار المعارف، سنة ١٩٨٦.
- أبو فراس الحمداني : الديوان، تحقيق وتعليق : سامي الدهان،ط٢/ المطبعة الكاثوليكية – بيروت ١٩٤٤.

- ابن كثير : البداية والنهاية، ط/ مكتبة المعارف – بيروت ١٩٩٦، ج١١ .
- كشاجم : الديوان، ط/ القاهرة ١٤٢٢هـ .
-د. ماهر عبد الله : الشيعة الروافض، ط/ مكتبة الإيمان – القاهرة، سنة ٢٠١٢.
- المتنبي : الديوان بشرح أبى البقاء العكبرى، ضبط وتصحيح : إبراهيم الإبيارى وآخرون،ط/ القاهرة، سنة ١٩٧١م،ج ١،٣.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط/ دار المعارف، سنة ١٣٦٦هـ،ج ٢.
- مصطفى الشكعة : فنون الشعر فى مجتمع الحمدانيين،ط/ الأنجلو المصرية،سنة ١٩٨٩.
- النوبختى : فرق الشيعة، ط/ استانبول ١٩٨٢.
- هدى الأرناؤوطى : ثقافة المتنبى وأثرها فى شعره، ط / لبنان – بيروت، سنة ٢٠٠٢م.